



في مثل هذه اليوم ومنذ عامين في ١٨ آذار ٢٠١١ كانت قد انطلقت أعظم ثورات التاريخ من جنوب سوريا من المسجد العمري في درعا البلد التي ثارت من أجل حرية وكرامة سوريا وشعبها الأبي وباستمراريتها الجباره أسقطت الأقنعة عن القاصي والداني وكشفت زيف كل القوى الإقليمية والعالمية.

نعم إنها بحق الثورة السورية العظمى التي أشعل شراراتها أطفال بعمر الورد كانوا هم الأشجع والأكثر جرأة ووعياً والسباقين في التعبير عما يجول في خواطرنا جميعاً.
إليكم أيها الأنبياء الصغار أكتب هذه الكلمات:

سادتي الأطفال الرجال بعد التحية والسلام عليكم، أبعث لكم هذه الرسالة وتفصل بيننا مسافات كثيرة، مسافة شرفية ومسافة تقديرية ومسافة بطولية، وهناك مسافة روحية بيننا، فأنتم هناك حيث سطرتم طريق المجد والعزة، وأنا هنا بذهول أتابعه، وأخبركم أيها السادة العظام بأن أصابعكم الطاهرة التي أشعّلت النور لنا لم تذهب هباءً منثوراً، وبأن أصابعكم الطاهرة كانت هي الشمعة التي أنارت طريق كل سوري، فقد كنا يا سادة نعيش في ظلام دامس، ولا نستطيع أن نرى طريقنا حتى أصبحنا نظن أن الظلم هو الشيء الوحيد الحقيقي بالكون.
 بكل فخر أبعث لأولاد حارتنا وأعزز بهم تحية إكبار وإجلال إلى هؤلاء الصغار الكبار الذين أيقظوا سبات شعب طال رقاده، وعظمت محنته، وطال قهره وظلمه وإذلاله..

رسالة إلى هؤلاء الرياحين الذين فاحت أزاهيرهم مسّكاً فواحاً على النفوس البائسة والقلوب الداكنة..
رسالة إلى هؤلاء الشموس المشرقة التي أضاءت ظلمة العزائم والإرادات الخائنة..

الأطفال الرجال الذين ألقوا حبراً كبيراً في ذاكرة الشعب العريق، فذكروه بأمجاده التليدة، ومشاهده الخالدة.
قد لم يكن يخطر على بالكم يا أطفال درعا، الذين لم تبلغوا الحلم بعدُ، دون الرابعة عشرة، وأنتم تكتبون على جدران مدرستكم، ببراءة الطفولة المعروفة عبارة (الشعب يريد إسقاط النظام) و(أجاك الدور يا دكتور)، في مشهد تقليدي حاكيتم به مشاهد الثورة في تونس ومصر ولibia، واستوحيتم من الفضائيات التي تبث أخبار الثورات العربية.
وقد لم يكن يخطر على بالكم أبداً، بأن هذه الشعارات المكتوبة بطفولية وعفوية ستقود لإشعال أكبر ثورة تشهد لها سوريا في

سادتي الكرام أنتم شرارة الثورة وأنتم من أشعلتم ظلامنا وحولتموه لنور برينا أبعد مما كنا نحلم ، أنتم من أرشدنا لهويتنا الحقيقة ، التي أعادت لنا الكرامة المسلوبة ، كنتم المفتاح الذي فتح به سجننا الذي سُجِّنَنا به منذ عقود، براءاتكم هي التي أعادت الشرف لنا بعدهما فقدناه لسنين طويلة، عفوكم هي السكين التي نحرنا به الخوف والهلع من ذواتنا، شجاعتكم هي من أرجعتنا لطبيعتنا الأصيلة الرافضة للوهن والضعف، صدق تصرفكم جعلنا نعرف قيمتنا وقوتنا وندرك بأننا نستطيع أن ن فعل المستحيل إذا توحدنا، أنتم باختصار يا سادتي العظام من أرجعوا لهويتنا التي فقدناها منذ سنين.

وأنا بنشوة الفرح أرى ما يحدث اليوم من عزة وشرف وعارك يقودها شعبنا العظيم لتكسير الأصنام التي جثمت على صدورنا منذ عقود خلت، وبفضلكم استعدنا روحنا الشريفة لمقاومة الطغيان، وكل سوري حر وضعكم رمزه الكبير لكي يصرخ ويفعل ويستعيد أمجاد الأجداد ، اليوم نحن نخوض المعركة كلاً بقدر استطاعته، ولكن نتفاوت بالفعل ، وكل شريف متفق على إنكم الرمز الأول والأكبر لما يحدث اليوم ، كنا بالماضي ننتظر ذلك البطولي الذي ينقذنا من الهلاك والموت والوهن ، غرقنا بالتنظير منذ سنين ، ولكن لم ندرك بأننا نحتاج لمن يعمل ويطبق لكي يخرجنا من سجن تقدس الأنظمـة، فـما كان ذلك المنقذ البطولي والعملي الشجاع والمـلهم الآتي إلا أنتـم.

أخبركم بأنكم لم ولن تغيبوا عن أبصارنا طرفة عين ، فأنتـم بنظرنا الرمز الكبير الذي جعلنا ندرك بأننا أحياء لم نمت، وبأن كل الأحرار السوريين الشرفاء يجلونكم ويعتبرونكم أبطالـ، اليوم غيرتم نظرتنا لغالبية الأمور ، فبالأمسـ كـنا نـسـيرـ على رؤوسـناـ وكـأنـاـ جـدـلـ هـيـجـلـ لـدـىـ الـفـلـاسـفـةـ،ـ وـلـكـنـ بـسـبـبـكـمـ الـيـوـمـ نـحـنـ قـلـبـنـاـ الرـأـسـ أـرـجـلـ وـالـأـرـجـلـ رـأـسـ وـاعـتـدـلـنـاـ بـالـمـشـىـ،ـ طـرـيـقـنـاـ طـوـيـلـ،ـ وـلـكـنـ الـعـبـرـةـ لـيـسـ بـطـوـلـ الـمـسـافـةـ،ـ الـعـبـرـةـ بـصـحـةـ الـطـرـيـقـ وـهـذـاـ مـاـ يـهـمـ،ـ فـنـحـنـ بـالـأـمـسـ كـنـاـ نـسـيرـ بـطـرـيـقـ الـجـحـيمـ الـأـرـضـيـ،ـ وـلـكـنـ الـيـوـمـ رـجـعـنـاـ لـنـسـيرـ بـالـطـرـيـقـ الصـحـيـحـ طـرـيـقـ الـجـنـةـ الـأـرـضـيـ،ـ كـلـمـاـ سـرـنـاـ بـالـطـرـيـقـ وـجـدـنـاـ قـرـيـةـ الـكـرـامـةـ،ـ وـبـعـدـهـاـ قـرـيـةـ الـمـساـواـةـ،ـ وـبـعـدـهـاـ قـرـيـةـ الـمـجـدـ وـالـعـزـ،ـ وـبـعـدـهـاـ طـرـيـقـ الـإـنـسـانـيـةـ،ـ وـبـالـأـخـيـرـ سـنـصـلـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ الـطـرـيـقـ وـنـصـبـ موـاطـنـيـنـ فـيـ قـرـيـةـ الـحـرـيـةـ الـتـيـ بـحـثـنـاـ عـنـهـاـ مـنـذـ سـنـيـنـ.ـ كـنـاـ بـالـأـمـسـ نـسـيرـ بـالـطـرـيـقـ الـخـاطـئـ،ـ فـظـنـنـاـ أـنـ قـرـيـةـ الـمـهـانـةـ هـيـ قـرـيـةـ الـكـرـامـةـ،ـ وـظـنـنـاـ أـنـ قـرـيـةـ الـظـلـمـ قـرـيـةـ الـمـساـواـةـ،ـ وـظـنـنـاـ أـنـ قـرـيـةـ الـذـلـ وـالـخـسـةـ قـرـيـةـ الـمـجـدـ وـالـعـزـ،ـ وـظـنـنـاـ أـنـ قـرـيـةـ الـقـمـعـ وـالـوـحـشـيـةـ قـرـيـةـ الـإـنـسـانـيـةـ،ـ وـكـنـاـ نـعـتـقـدـ بـأـنـنـاـ بـطـرـيـقـنـاـ مـُـتـجـهـيـنـ نـحـوـ الـحـرـيـةـ،ـ وـلـكـنـ لـلـأـسـفـ كـنـاـ نـسـيرـ نـحـوـ الـعـبـودـيـةـ بـأـبـشـعـ أـطـرـاهـ.ـ أـلـمـ أـقـلـ لـكـمـ بـأـنـنـاـ كـنـاـ ضـائـعـيـنـ قـبـلـكـمـ وـطـرـيـقـنـاـ خـاطـئـ؟؟ـ

كـانـتـ بـوـصـلـتـنـاـ بـالـمـاـضـيـ تـصـدـيقـ الـخـوـنـةـ وـالـدـجـالـيـنـ وـأـحـفـادـ مـسـيـلـةـ الـكـذـابـ،ـ وـلـكـنـمـ أـصـبـحـتـمـ بـوـصـلـتـنـاـ الـحـقـيـقـيـةـ الـتـيـ تـدـلـنـاـ عـلـىـ الـطـرـيـقـ الصـحـيـحـ،ـ فـالـبـوـصـلـةـ الـيـوـمـ لـاـ تـشـيرـ إـلـاـ لـطـرـيـقـ وـاحـدـ هـوـ (ـطـرـيـقـ الـحـرـيـةـ).

أـنـتـمـ بـنـظـرـنـاـ أـعـظـمـ الـمـعـلـمـيـنـ،ـ أـنـتـمـ أـبـطـالـنـاـ وـعـظـامـنـاـ وـمـنـقـذـنـاـ،ـ أـنـتـمـ رـمـزاـنـاـ الـكـبـيرـ الـذـيـ أـعـادـنـاـ لـلـحـيـاةـ بـعـدـ مـوـتـ طـوـيـلـ،ـ الـيـوـمـ نـحـنـ نـخـوـضـ مـعـرـكـةـ أـنـتـمـ الـمـسـبـبـ فـيـهـاـ،ـ مـعـرـكـةـ الـكـرـامـةـ وـالـشـرـفـ،ـ كـنـاـ نـتـفـاخـرـ بـرـمـوزـنـاـ الـعـظـيمـةـ السـابـقـةـ،ـ وـكـنـاـ نـبـكـيـ عـلـيـهـمـ وـنـتـذـكـرـهـمـ،ـ وـالـمـشـكـلـةـ أـنـنـاـ لـمـ نـرـىـ أـحـدـ بـأـعـيـنـنـاـ،ـ وـأـصـبـحـنـاـ نـرـىـ إـنـ إـمـكـانـيـةـ وـجـودـ عـظـيمـ وـخـالـدـ فـيـ عـصـرـنـاـ شـيـءـ مـسـتـحـيلـ،ـ وـلـكـنـ الـمـسـتـحـيلـ أـنـتـمـ حـوـلـتـمـوـهـ إـلـىـ حـقـيـقـةـ،ـ وـجـعـلـتـمـ أـحـلـامـنـاـ تـحـقـقـ بـأـنـ نـرـىـ بـطـلـ عـظـيمـ بـأـعـيـنـنـاـ،ـ أـتـعـلـمـنـ بـأـنـنـاـ فـقـدـنـاـ الـكـثـيرـ مـنـ أـصـالـتـنـاـ وـمـجـدـنـاـ فـأـصـبـحـ الـغـالـبـيـةـ يـعـتـبـرـنـاـ بـأـنـنـاـ شـعـبـ مـاضـيـ لـاـ وـجـودـ لـنـاـ بـالـحـاضـرـ وـلـاـ الـمـسـتـقـبـلـ،ـ وـلـكـنـ أـنـتـمـ مـنـ جـعـلـنـاـ مـاضـيـ وـحـاضـرـ وـمـسـتـقـبـلـ،ـ وـبـرـاءـتـكـمـ مـنـ نـقـلـنـاـ مـنـ الـمـاـضـيـ إـلـىـ الـحـاضـرـ وـهـيـ مـنـ تـنـقـلـنـاـ لـلـمـسـتـقـبـلـ.

أـحـبـائـيـ الـيـوـمـ كـمـاـ تـرـوـنـ نـخـوـضـ مـعـارـكـ ضـدـ الـظـلـمـ وـالـاستـبـادـ أـنـتـمـ مـنـ أـشـعـلـهـاـ،ـ عـنـدـمـاـ تـنـتـهـيـ مـعـرـكـةـ الـشـرـفـاءـ سـيـخـلـدـونـكـ بـكـلـ شـيـءـ،ـ حـتـىـ الـثـوـرـةـ السـوـرـيـةـ سـتـكـبـ بـاـسـمـكـ،ـ كـانـتـ أـحـلـامـكـ بـسـيـطـةـ عـنـدـمـاـ كـتـبـتـ عـلـىـ جـدـرانـ مـدـرـسـتـكـ،ـ فـهـاـ أـنـتـمـ تـكـبـونـ تـارـيـخـ سـوـرـيـةـ الـحـدـيـثـ فـلـنـ تـغـيـبـوـاـ عـنـ ذـهـنـ الـشـرـفـاءـ بـكـلـ الـعـالـمـ وـلـيـسـ الـعـربـ وـالـسـوـرـيـنـ وـحـدـهـمـ،ـ بـالـأـمـسـ الـكـثـيرـ كـانـ يـخـجلـ مـنـ إـنـهـ سـوـرـيـ،ـ وـلـكـنـ الـيـوـمـ الـكـلـ يـفـخـرـ بـأـعـلـىـ الصـوـتـ بـأـنـهـ سـوـرـيـ،ـ أـخـبـرـكـمـ بـأـنـ الـشـرـفـ لـوـ تـجـسـدـ بـرـجـلـ لـقـالـ أـنـاـ أـطـفـالـ درـعاـ

، والكرامة والعزة لو تجسست بشخص لقالت أنا أطفال درعا ، والحرية والإنسانية وكل المصطلحات العظيمة لو اختارت التجسيد بالشخصوص لاختارت دون تردد أن تكون أنت يا أولاد حارتنا.

منكم وبكم أخذت شرارة الثورة تندلع في شتى أنحاء سوريا مؤذنة بدوران عجلة ثورة لن تتوقف حتى تقتلع أعتى نظام قمعي في المنطقة، وذلك كله بفضلكم يا أطفال درعا الكبار، الذين سينذركم التاريخ يوماً بأنكم كنتم مَن بدأ طريق تحرير سوريا من أسوأ عهود الظلم والطغيان.

المصادر: